كورونا والدعاء في الشعر

لم يكن الدعاء يوما من الأيام كلام لغو ولا حديث باطل، بل إن الأدعية كنوز فيها من روعة البيان وجمال البلاغة واللغة والحكمة والعضة، وتعدد المعارف ومن الفلسفة ما تقف الألباب عندها حائرة. وفوق كل ذلك فالدعاء هو الوصلة والواسطة بين العبد وبين الله. ولم يقتصر أسلوب وادب الدعاء عند المسلمين على الكلام سواء ما جاء من آيات القرآن الكريم أو أدعية الأئمة وصحابة النبي "ص"، بل وحتى الشعراء ضمنوا شعرهم الدعاء مذ وجد وهُلْـهِلَ به وصار هذا ديدنهم حتى يومنا هذا، وكان للشعراء نصيبا كلما حدثت حادثة أو المت ملمة أو نزلت جائحة بالمؤمنين والمسلمين إلا وضجوا الى الباري سبحانه وتعالى متوسلين إليه بأحب الأمكنة والأزمنة والخلق إليه ليدفع السوء والبلاء عنهم. فلربما عجلت الإجابة لهم ولربما أخرت ليكون ذلك أعظم ثوابا وأجرا لهم، ولربما منعت وذلك لمصلحة يراها الله سبحانه وتعالى.

ولكن أين نحن الآن وقد منعنا هذا الوباء من ورود دور العبادة والصلاة والدعاء فيها؟ ولماذا يدعوا المؤمنون والمسلمون فلا يستجاب لهم؟ أليس فينا أحد يحبه الرحمن؟.

أما فيكم أحد يحبه الرحمــن؟:

قال ثابت البناني: كنت حاجاً مع جماعة من عباد البصرة، فلما دخلنا مكة رأينا الماء ضيّقاً، وقد اشتدّ بالناس العطش لقلة الغيث. ففزع إلينا أهل مكة والحُجَّاج يسألوننا أن نستسقي لهم، فأتينا الكعبة وطفنا بها ثمَّ سألنا الله خاضعين متضرعين بها فمنعنا الإجابة. فبينما نحن كذلك إذا نحن بفتى قد أقبل وقد أكربته أحزانه، وأقلقته أشجانه، فطاف بالكعبة أشواطاً ثم أقبل علينا فقال:

يا مالك بن دينار، و يا ثابت البناني، و يا أيوب السجستاني، و يا..، و يا..، حتى عدَّنا وعدَّ من جلس معنا، فقلنا لبيك وسعديك يا فتى. فقال: أما فيكم أحد يحبه الرحمــن؟ فقلنا: يا فتى، علينا الدعاء وعليه الإجابة، فقال: أبعدوا عن الكعبة فلو كان فيكم أحد يحبه الرحمن لأجابه، ثم أتى الكعبة فخرَّ ساجداً فسمعته يقول في سجوده: سيدي، بحبك لي إلا سقيتهم الغيث.
قال ثابت: فما استتم كلامه حتى أتاهم الغيث كأفواه القرب.
قال مالك بن دينار: فقلت: يا فتى من أين علمت أنه يحبك؟
قال: لو لم يحبني لم يستزرني " أي سأله أن يزوره"، فلما استزارني علمت أنه يحبني، فسألته فأجابني، ثم ذهب عنا وأنشأ يقول:

من عرف الرب فلم تغنه ** معرفة الرب فذاك الشقي
ما ضر في الطاعة ما ناله ** في طاعة الله وماذا لقي
ما يصنع العبد بغير التقى ** والعز كل العز للمتقي

فقال مالك: يا أهل مكة من هذا الفتى؟ قالوا: علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب " عليهم السلام".
ما سر كون رجل مثل علي "ع " كله إيمان!.

من أين تأتي كل ذي النغمات **** وان تكن من حلق عبد الله

لا شك أنه يوجد في هذه الخليقة من هو محبوب للرحمن ولكن ربما لم يؤذن له بعد بالدعاء، أو أنه دعى ولكن لم يحن وقت الإجابة. ونحن لسنا ممن يقول بترك الأسباب واللجوء الى الدعاء فقط، بل هما خطان متوازيان ومتلازمان وليس متقاطعان ومتعارضان، فالدعاء يعجل بالتوفيق في وجود الدواء سواء على أيدي المسلمين أو غير المسلمين مع الأخذ بالأسباب من البحث وتوفير كل الوسائل لإنجاح ذلك، ولا تعارض هنا في هذا الشأن. ولكن علينا بالصدق مع الله سبحانه.

فيا عبدالله الذي كلك إيمان هلا سألت الرحمن بحبه لك إلا فرج هذه الكربة عن أهل هذه الأرض؟

نكتة بلاغية:

{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}، إنه أروع بيان وأحسنه لما اشتمل عليه من المضمون وأدق أسلوب وأجمله، فقد وضع أساسه على التكلم وحده دون الغيبة ونحوها، وفيه دلالة على كمال العناية بأمر الدعاء، ثم قوله {عِبَادِي} ولم يقل (الناس) وما أشبهه يزيد في هذه العناية، ثم حذف الواسطة في الجواب حيث قال: {فإني قريب}، ولم يقل: (فقل إني قريب) ثم التأكيد بـ (إن)، ثم الإتيان بالصفة دون الفعل الدال على الثبوت والدوام ليدل على ثبوت القرب ودوامه، ثم الدلالة على تجدد الإجابة واستمرارها حيث أتى بالفعل المضارع الدال عليها، ثم تقييده الجواب أعني قوله: {أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ} بقوله {إِذَا دَعَانِ}، وهذا القيد لا يزيد على قوله: دعوة الداع المقيد به شيئاً بل هو عينه، فإن فيه دلالة على أن دعوة الداع مجابة من غير شرط وقيد كقوله تعالى: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}غافر-60.

فهذه سبع نكات اسلوبية بلاغية في الآية تنبئ بالاهتمام في امر استجابة الدعاء والعناية بها، مع كون الآية قد كرر فيها على ايجازها ضمير المتكلم سبع مرات، وهو نمط آخر من أنماط الأسلوب البلاغي المؤثر.

نعم لقد كان للشعراء صولة في هذا الميدان، ميدان الدعاء فانبرى الشعراء كل بما جادت به قريحته:

فها هو الشاعر الدكتور عبدالرحمن العشماوي:

ما ذا دهاك كورونا" انت مختبىء ** عن أعين لم تزل تبكي بواكيها
حجبت كل حبيب عن أحبّته ** فما تُصافح كفٌ من يُحيّيها
حرمْتهم من لقاءاتٍ مُحَبَّبةٍ ** فلم يعدْ يجمعْ القرْبى تلاقيها
من أنت كيف اقتحمت الأرض قاطبةً ** حتى سرى منك رعب في نواحيها
اما خشيت القوى الكبرى وما ملكت ** من العتاد وما ضمت صياصيها
أصبحت قوة زحف لا نظير لها ** بين العباد فلا شيء يجاريها
كل العتاد الذي في الأرض ليس له ** معنىً أمامك باع الحرب شاريها
الناس تصرخ "كورنا" وانت بِلا ** خوف تهاجمها، تغشى نواديها
من أنت؟ قال أنا من جند خالقنا ** قضى فأمضى وأعطى القوس باريها
خذوا بأسباب دنياكم ولا تقفوا ** وقوف مضطرب، فالله حاميها
كرِّي وفرِّي بأمر الله وهو بكم ** أدرى ويعلم تُخفي خوافيها
مدوا اليه أيادي المخبتين له ** واستمطرا رحمةً تجري سواقيها
فروا الى الله مني واطلبوا فرجا ** فالله مالك دنياكم ومن فيها

ولم يغب هذا المعنى عن خنساء الأحساء رباب النمر فراحت ترفع كف التضرع:

فـاســـأل الله فِـــكـاكـــاً ... مـن عـــدّو قـــد تـنـمّـر

وانـــتـصـر لـلـنـفـس لـما ... تـحـتـويـها ضـد مُـنكر

إنـها كـنـزٌ ثـــمـيـنٌ... لـيس لـلـتـفـريـطِ يُـــذكـر

ولها أيضا:

دعـوتُ الله يـحـمـيـــنـا ... مـن الـمـدعـوّ (كـورونا)

ويُـنـجي الـنـاس مـن ألـمٍ ... تـقـلّـب بـيـن أيـــديـــنـــا!

وترنم بدعاء الشعر آخر متوسلا بحبيبه المصطفى محمد " ص ":

إني تحصنت بصاد الصمد ... والحاء والميمين من محمد

بجسد النبي عاف جسدي ... من كل ما يطول سوء الأبد

الله حـــي صـمـد وبـــاقـــي ... سـبـحـانـه ذو كـنـف وواقي

ونـحـن في كـنـفـه الـمـنيع ... مـن كل شـر وأذى شـنـيـع

مستشفعين بالغياث أحمد ... غوث الورى مؤخرا ومبتدا

من قـالها في زمـن الـوباء ... أمـنـــه الله مـــن الـــبـــلاء

وها هو شاعر الأحساء الكبير جاسم الصحيح يتغنى ويقول مهما كشر كورونا عن أنيابه وتوعد فإن هناك أمل بولادة جديدة للأرض:

كورونا والشعر

نـصارع حـولنا شبحًـا تـنـاهى ** عُتُـوًّا، وَهْوَ في عُـمرِ الـولـيـدِ
تـطـلّ الشـمـس مُعـتِـمَـةً فـنحـيا ** بـمـشـكاةٍ مـن الأمـل الـرشـيـدِ

فـهـذا الـمطلـقُ الليـليّ مـهـما ** طـغـى طـغـيانَ جبّـارٍ عـنـيدِ
ومـهـما حـدَّ أنـيـابَ الـمنـايـا ** وشَـرَّعَـها على لـغـة الـوعيدِ
سنبـقـى فـي خـنـادقـنا نـغـنّي ** بـأنّ الأرض تـولـد مـن جديـدِ

أما دكتورنا وشاعرنا السيد عادل الحسين فهو أيضا يرفع يديه متضرعا وقد تحسر على إغلاق المساجد:

هَـذَا الَّـذِي يـُدْعَى وَبَـاءٌ غَـدَا ... فِـي كُـلِّ زَاوِيَـةٍ مِـنَ الْـمَوْرِدِ
قَـالُوا أَ كُـورُونَا يُخِيـفُـكُمُ ... أَنْ تَسْـأَلُـوهُ اللُّـطْفَ فِي الْمَسْجِـدِ!
قـُـلْـنَا أَلَا تَـكْـفِـي مَنَـازِلُـنَا ... أَنْ نَـسْـأَلَ الْـبَارِي بِـرَفْـعِ الْـيَـدِ؟

ولم يقتصر دعاؤه لأهله ومصره بل دعى لجميع الأمصار:

قَدْ زَادَ ضُرُّ النَّاسِ فِي حَرَجٍ ... مِنْ جَوْرِ كُورُونَا عَلَى الْبَشَرِ
الْكـُلُّ يَحْـمِـي الْأَهْلَ مُـجْـتَهِـدًا ... مِنْ شَـرِّ جُـرْمٍ قَـاتِلٍ خَـطِرِ
يَا رَبِّ يَا مَـنْ عِـنْـدَهُ فَـرْجٌ ... فَـرِّجْ عَـنِ الْأَمْصَارِ مِنْ ضَرَرِ
يَا سَـيِّدِي خَلِّـصْ عِبَادَكَ مِنْ ... إِجْـرَامِ كُورُونَا وَمِـنْ حَـجَـرِ
سَـدِّدْ إِلَهِي كُلَّ مَنْ حَـارَبَ ... الْـفَيْرُوسَ كَيْ يَبْقَى عَلَى ظَفَرِ

أما الشاعرة ندى الأحمد فدعت للمؤمنين ودعتهم ليضجوا الى الله بالدعاء:

فَـرِّج - حَماكَ اللهُ- كَربَ جَماعَتي ... طَهِّر بِـقـاعَ المؤمنينَ بِصحّةِ
فَمتَى لقاهَا الضّيرُ من كورونِها ... وَرمَى الـقلوبَ بذُعرِهِ في لَمحَةِ
فـضَجيجُ دَعوكَ غايةٌ لا تنتهي ... سَـربِل أمَـانًا فائِـضًا مِن رَحـمـةِ

وأما الشاعر ميرزا حسن الشيخ فإنه رفع يديه الى الله متوسلا بوليه ابا الحسن في يوم مولده:

أجينا بشوق إلك يا حيدر الكرار ** متعنين ها لليلة وندق بابك

لمن ردنا نعرف مولدك مولاي ** بيت الله بتسم بالفرح من جابك

الكورونا أجت يم حضرتك هيهات ** (عن يا مرض نحچي ومنها الصابك)

مديت الچفوف ويا علي ناديت ** يا مولاي ابد ما خاب طلابك

أما الشاعر هاني الحسن فقد شبه هيامه بطيف المحبوب كداء أصابه بفيروس كورونا فأمسى مبتلى ومن ذاك الذي سيجازيه:

هَلْ يَا تُرَى يُعْطُونَ طَيْفَكِ مِنْهُمُ ** مُخَالِفَةً مِنْ بَعْدِ مَا بِيْ تَجَوَّلا
وَمَنْ ذَا يُجَازِي دَاءَ عِشْقٍ أَصَابَنِي ** كَفَيْرُوسِ كُورُونا فَأَمْسَيْتُ مُبْتَلَى

وفي قصيدة أتى داء كورونا لعلي السليمان داعيا الله بالعون ومطالبا بالوقاية منه:

أتى داء كورونا ليفترس الورى ** وينشب في أظفاره الحر والعبدا

هو الداء لا يخشى من الناس سطوة ** ولا يستحي إن أوغلت كفه حصدا

الى أن يقول:

فلا تستهينوا بالوقاية إن عدت ** سيوف المنايا في مواطننا حشدا

ومن لم يوق النفس من وثباته ** يجد جسمه يغدو لأسقامه مهدا

فيا رب كن عونا لنا ومسانــدا ** فليس لنا سيب فضلك من معدى

لنجتاز أعباء الكوارث والردى ** ونعبر عصف العاديات إذا اشتدا

لك الحمد في يسر الأمور وعسرها ** إذا اريد سيل الحادثات أو استعدى

وهذا عبد الباري الأنصاري في قصيدته " الوباء الخفي " كورونا سائلا المولى دفع البلاء:

مصاب الناس من هذا الكرونا ** مصاب عز فيهم أن يهونا

فهذا الغرب مفزوع مخوف ** وهذا الصين قد لاقى المنونا

الى أن يقول:

فهذا فيروس بالعين يخفى ** ولا يبدو لأقوى الناظرينا

قد أفزعهم فصار الفرد منهم ** حبيسا بيته حقا سجينا

فعودوا قومنا لله وادعوا ** بإخلاص له متضرعينا

ومن كل الذنوب - اذا أردنا ** زوالا للوبا - تستغفرونا

وإن الله يسمع من دعاه ** دعاء التائبين المخلصينا

فندعو ربنا بجلاء كرب ** يحول عن المساجد ما بقينا

وأخذ الناس بالأسباب عقل ** وترك العقل فعل الجاهلينا

وأخذ بالنصائح من خبير ** أخي نصح سبيل العاقلينا

سيكشف ذا الوبا إن شاء ربي ** ولكن لا تكونوا قانطينا

فتى الأحساء

ابراهيم سلمان بوخمسين